International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA
Volume **7**, Issue 3, 2025

The Overlap of the Concept of Ḥusn al-Takhalluṣ with the Concepts Of al-Iqtiḍāb and al-Istirād

M.A. Alaa Ahmed Hassan

History and Heritage Laboratory, Faculty of Humanities and Social Sciences, Ibn Tofail University, Morocco

Received: 7/6/2025
Revised: 26/7/2025
Accepted: 24/8/2025
Published online: 13/9/2025

* *Corresponding author:*
Email: **Alaa Ahmed** @gmail.com

https://doi.org/10.65811/738
Citation: *Hassan, M& Ramadan.A. (2025). The Overlap of the Concept of Ḥusn al-Takhalluṣ with the Concepts of al-Iqtiḍāb and al-Istirād. International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 7(3).*

©2025 The Author(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license. https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences: Issn Online 3006-7286

Abstract

The structure of disposal acts as a structure that helps to move in vertical or horizontal lines, employing within it a dense movement of rhetorical means. The moral and sensory connection between the parts of the text is what preserves the structure of the elimination of the unity and cohesion of the text. And the transformation in the structure of disposal takes place in the deep structure and not only in the form, and the basis in the structure of disposal is to tighten the recipient and to draw attention and maintain the sequence of follow-up, and the meanings in the disposal of some take some communication and communication between the former meaning and the meaning of the subsequent In the text Posa The occasion or the relationship of those concerned through the context. In this research, the good disposal in the language and terminology and the difference between the terminology of good translation and the terms of digression and narrowness and showed the relationship between them, a study that included all the rhetorical aspects

Keywords: Agreements, Armistices, and Treaties in Islamic History.

تداخل مصطلح حسن التخلص مع مصطلح الاقتضاب والاستطراد

م.د.الاء احمد حسن[1] أ.د احمد فتحي رمضان[2]
جامعة الموصل/ كلية الاداب/ قسم اللغة العربية

ملخص: تعمل بنية التخلص بوصفها بنية تساعد على الحركة في خطوط عمودية أو افقية، توظف داخلها حركة كثيفة من الوسائل البلاغية الدالة، فالاتصال المعنوي والحسي بين أجزاء النص هو الذي يحافظ في بنية التخلص على وحدة النص وتماسكه، لان الانتقال الشكلي وحده لا يكفي لكي يكون شرطا من شروط التخلص، وان التحول الذي يحصل في بنية التخلص إنما يحصل في البنية العميقة ولا يقتصر على الشكل فقط، والأساس في بنية التخلص هو شد المتلقي ولفت انتباهه والمحافظة على تسلسل متابعته، وتكون المعاني في التخلص آخذة بعضها برقاب بعض والاتصال حاصل بين المعنى السابق والمعنى اللاحق في النص بوساطة المناسبة أو العلاقة الرابطة للمعنيين عن طريق السياق. تناولت في هذا البحث حسن التخلص في اللغة والاصطلاح والفرق بين المصطلح البلاغي حسن التخلص ومصطلحي الاستطراد والاقتضاب وبينت العلاقة التي تربط بينهما، بدراسة شملت فيها جميع الجوانب البلاغية.

الكلمات الدالة: الموادعات ، المهادنات ، المعاهدات ، الإسلامية .

المقدمة

التخلص في اللغة

التخلص في اللغة هو تنقية الشيء وتهذيبه فـ "الخاء واللام والصاد، أصل واحد مطرد، يقولون خلصه من كذا وخلص هو ...."[1].

نلحظ من إشارة إبن فارس (ت ٣٩٥ هـ) أن التخلص يسير في اتجاهين:

الأول: بفعل فاعل (التكلم) والثاني: ميل الشيء إلى أن يخلص بذاته، في حين جعله الخليل (ت ١٧٠ هـ) مما يشتبك بغيره فيحتاج إستخلاصه إلى حركة "فخلصته، نحيته من كل شئ ينشب تخليصا، وتخلصته كما يتخلص الغزل إذا التبس".[2]

وقد دخل اللفظ الإطار المعنوي من خلال حديث الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) من كون الاستخلاص مرتبط بالنفس بقوله: "وخلص تخليصا أعطى الخلاص وخالصه صافاه واستخلصه لنفسه".[3]

وقد يراد باللفظ دلالة التوصيل والبلوغ، وألمح إلى ذلك ابن منظور (ت ٧١١ هـ) فنراه يقول: "فلما خلصت بمستوى الأرض أي وصلت وبلغت، ويقال خلص فلان إلي فلان"[4] أي: وصل.

مما يعني أن التخلص لم يبرح مفهومه اللغوي (سلم ونجا).

تعد فكرة التخلص واحدة من حزمة النظرات التي وجهها نقدنا القديم إلى القصيدة العربية على الإجمال، ثم تطورت هذه الفكرة حتى ظهرت في النثر العربي والقرآن الكريم. ومن الملاحظ أن النقاد والبلاغيين كثيرا ما تداولوا مصطلح التخلص بوصفه فناً من فنون علم البديع في أبواب كتبهم لذلك افردوا لهذا المصطلح أبوابا وفصولا.

ومصطلح حسن التخلص كغيره من المصطلحات مر بمراحل متعددة حتى اصبح مصطلحا قائما بذاته.

حسن التخلص في الاصطلاح

ولعل أبا عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) أول من ذكر مصطلح التخلص في نص نقله عنه الحاتمي قال: "أحسن تخلص للعرب تخلصت به من بكاء طلل، ووصف إبل، وتحمل أظعان، وتصدع جيران بغير (دع ذا)، و (عد عما ترى) و (اذكر كذا) من صدر إلى عجز، لا يتعداه، شاعر سواه ولا يعلقه بما عداه"[5] قول زهير: [6]

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ كن الجواد على علاته هرم .[7]

فيظهر من كلام أبي عبيده أن صيغ (دع ذا) و (سل) و (عد عما ترى) كانت ومازلت وسائل انتقال وقد استخدمت للربط بين أجزاء القصيدة ذوات الأغراض المختلفة كالغزل والرثاء والهجاء، وأكد في كلامه أن هذه الصيغ ليست الموضع الوحيد للتخلص فالروابط موجودة بين أجزاء القصيدة عند كل جزء، وأن للتخلص روابط ثرية متعددة وليست مقيدة بهذه الصيغ كما أصبحت هذه الصيغ مرفوضة فيما بعد،

وإن زهير عند انتقاله بين صفتي الكرم والبخل جعل القاسم المشترك أو العلاقة بينهما هي الإفراط في الصفة، فالكريم مفرط في كرمه والبخيل مفرط في بخله.

واعتمد ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) مصطلح "حسن الخروج" وآداره توطئة لشواهده وبين مقصده[8] منه قائلا: "ومنها" أي من- محسنات الكلام- حسن الخروج من معنى إلى معنى[9]، فقد أسمى ابن المعتز حسن التخلص (حسن الخروج) ولم يفصل في تعريفه.

وانطلق ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) منطلقا جديدا في رصده لحركة التخلص في الشعر وأغراضه فقال:

"إن للشعر فصولا كفصول الرسائل فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه، على تصرفه، في الفنون، صله لطيفة، فيتخلص من الغزل إلي المديح ومن المديح إلي الشكوى بألطف تخلص وأحسن حكاية، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله".[10]

لقد أضاف ابن طباطبا أثرا جديدا على صعيد البناء النصي ووحدته الكاملة وأكد على ضرورة التماسك النصي في القصيدة الواحدة.

وفي نص ابن طباطبا نلحظ عناصر أهمها:

١- أن للشعر فصولا كفصول الرسائل.

٢- أن يصل الشاعر كلامه، على تصرفه في فنونه، صلة لطيفة.

٣- أن يتخلص من معنى إلى آخر بألطف تخلص.

٤- أن لا ينفصل المعنى الثاني عما قبله.

ففي العنصر أقاول مقارنه سريعة بين الشعر وفصول الرسائل لكنه لم يفصل في كلامه عن فصول الرسائل مما يدل على أن التماثل بين الرسائل والشعر أمر مسلم به، إذن للنثر تراكيب كتراكيب الشعر والتخلص فاصل في هذه التراكيب، وفي العنصر الثاني إشارة إلي ضرورة أن يصل الشاعر كلامه بعضه ببعض، وترى في قوله (في فنونه) إشارة إلى أن الكلام مركب من عدة فنون، ويبين العنصر الثالث والرابع علاقة تكامل، أي بانتقال من كلام تشترك فيه أطراف متعددة إلى كلام مخصص لغرض معين.

كما وإن إضافة صيغة التفضيل (ألطف) إلى التخلص يوحي للمتلقي ببراعة هذا الانتقال. أما العنصر الرابع ففيه تأكيد صريح على ضرورة الاتصال بين المعنى السابق واللاحق، وهذه الصيغ الأربع على الرغم من تعددها تدور حول موضوع مراعاة الوصل بين الإغراض المتعددة للقصيدة.

ولم يخرج ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ)[11] عن هذا المفهوم. وجعل ابن سنان (ت ٤٦٦ هـ) التخلص ضرورة من ضرورات صحة النظم واتساقه بقوله "ومن الصحة النسق والنظم، وهو أن يستمر في المعنى الواحد وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص إليه".[12]

في نص ابن سنان أمور لابد من الوقوف عندها:-

- لم يخصص التخلص في الشعر بل جعله عاما.
- ادخل ابن سنان التخلص في نظم الكلام عندما قال صحة النظم والنسق فالنظم: التأليف، والنسق: ما جاء من الكلام على نظام واحد.[13]
- الاستمرارية في المعنى الواحد دون انفصال وعند هذا الانفصال يحصل أحسن تخلص.

وذكر الكلاعي (ت ٥٥٠ هـ) التخلص في فصل" التخلص من الصدور الى الغرض المذكور"[14]، وتكلم عن النثر والرسائل، والتخلص في النثر عنده لم يتعد عن الشعر" فما توصلوا به من الألفاظ في ابتداء الخطاب إلى غرض الكتاب قولهم: كتبت، وكتابي، وكتابنا".[15]

أما جواب الرسالة فتختلف الصيغ بقوله "ومما توصلوا به من الألفاظ في رد الجواب إلى غرض الكتاب"[16] و "تخلصوا بغير ما أوردناه إلى معنى الخطاب".[17]

فحديث الكلامي كان مختصاً بالنثر والرسائل فهو يؤكد أن الشعر والنثر لا يختلفان من حيث تشابهما في الصيغ الخاصة بالتخلص ولكن بتراكيب مختلفة.

ويمكن القول أن ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) قد شارك سابقيه في تعريفه للتخلص عندما قال" وهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني فيما هو فيه إذ أخذ في معنى غيره وجعل الأول سببا إليه. فيكون بعضه آخذا برقاب بعض".[18]

ولكن من الملاحظ أن ابن الأثير قد فصل مقدرة الشاعر عن مقدرة الناثر في طريقة تخلصه فقال عن الشاعر: "يكون متبعا للوزن والقافية فلا تؤاتيه الألفاظ على حسب إرادته"[19] وأما الناثر" فانه مطلق العنان

يمضي حيث يشاء فلذلك يشق على الشاعر اكثر مما يشق على الناثر".[20]

ففي قوله "... هو فيه إذ اخذ" قطع في الكلام ثم انتقال إلي موضوع آخر عن طريق تمهيد أو وسيلة وهو التخلص.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن الأثير لم يجعل من الشعر مثالا له فقط بل أحتذى بالآي الكريم بشواهد كثيرة، وهذه أول إشارة- فيما أعلم- إلي وجود التخلص في القرآن الكريم.

وأدرج إبن أبي الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) التخلص تحت باب أطلق عليه "براعة التخلص"[21] فبرع في الشيء أجاده وهي صفة أطلقت على التخلص ليصبح مصطلحا مقرونا
بلفظة (الحسن)، ووصفه بأنه أجل باب من أبواب المحاسن[22]، وقال "ويسمى معرفة الفصل من الوصل"[23] فيقول "إنك تقف من الكتاب العزيز على مواضع تجدها في الظاهر فصولا متنافرة لا تعرف كيف تجمع بينهما فإذا أمعنت النظر وكنت ممن له دربه بهذه الصناعة ظهر لك الجمع بينهما".[24]

وأشار بقوله إلى أن التخلص مبثوث في القرآن من أوله إلى آخره وأنه وجه الإعجاز، ويتخفى على غير الحذاق من ذوي النقد.[25]

ولقد قام حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) بخطوة في غاية الأهمية عندما بحث موضوع "التخلص" في الباب الثالث من كتابه، وهو" باب المباني" أي أنه كان متأكدا أنه لا يعالج مسألة في علم البديع (كالسجع والجناس والمطابقة... الخ) بل مسألة تتصل ببناء القصيدة وتركيبها، وشرطه في التخلص "أن يكون الكلام غير منفصل عن بعضه البعض"[26] وأن يحتال الشاعر أيضا في ما يصل بين حاشيتي الكلام[27]، ومن ثم سنكون أمام مفاصل متعددة للقصيدة حيث يتحتم وجود تخلص مناسب بين كل غرضين لكنه لم يفكر إلا بتخلص واحد وذلك لأنه عندما نظر مباشرة إلى القصيدة صنفها على أساس تداخل المواضيع فهي بسيطة ومركبة، أما البسيطة فهي التي تحوي غرضا واحدا صرفا كالمديح أو الرثاء أما المركبة فهي التي تشمل غرضين كالنسيب والمديح في آن واحد.[28]

وذكر القزويني (ت ٧٣٩ هـ) التخلص بإشارته إلى فعل حركة الانتقال في المتلقي، وقد ادخل المصطلح دائرة التواصل باعتماد طرفيها فالمتلقي يكون مهيأ فكريا. لاستقباله لهذه الحركة.

ففي قوله "نعني به الانتقال مما شبب به الكلام به من تشبيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما، لان السامع يكون مترقبا للانتقال من النسيب إلى المقصود. كيف يكون؟ فإذا كان حسنا متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع وأعان على إصغائه إلى ما بعده، وإن كان الأمر بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس".[29]

فهو يشير إلى عدة أمور هي :-

- الانتقال إلى المقصود.
- رعاية الملاءمة.
- إثارة المتلقي.

فادخل كلمات دقيقة في تعريفه للتخلص حينما استخدم كلمتي (الانتقال) للتعبير عن هذه الخطوة البنائية، و (رعاية الملاءمة) لتحديد آليتها وكنهها.

ويعد القزويني من أوائل الذين ذكروا الملاءمة في معرض كلامهم عن حسن التخلص، والملاءمة التي يقصدها القزويني هي العلاقة التي تربط الغرض الأول بالثاني حتى لا يخرج الموضوع عن نفسه، وهذه إشارة إلى ورود الناسبة في القرآن فضلا عن جعل إثارة المتلقي ضرورة من ضرورات التخلص السليم، فإذا كان التخلص سليما وحسنا لفت انتباه المتلقي ومن ثم حصل المطلوب في حسن التخلص، أما إذا لم يلفت انتباه القارئ أو المتلقي فانه يترك أثرا سلبيا في المتلقي، ومن ثم ينفر من طريقة الانتقال وبدل أن يحصل حسن التخلص ليحصل سوء تخلص، استطاع القزويني أن يضع المتلقي في دور الحكم الفاصل بين جودة الانتقال ورداءته.

أكد الطيبي (ت ٧٤٢ هـ) كلام القزويني وسماه المخلص. [30]

وقد جعل العلوي (ت ٧٤٩ هـ) التخلص قسما من أقسام علم البيان وظهرت المناسبة في تعريفه للتخلص، وعد المناسبة شرطا من شروط التخلص. والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلانا، أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب: الذي هو القريب المتصل، كالأخوين، وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما. وهو القرابة.[31]

فالمناسبة هي وسيلة التخلص اللازمة وبدون هذه المناسبة لا يحصل تخلص.

وقال في مطلع كلامه" ومعناه أن يسرد الناظم والناثر كلامهم في مقصد المقاصد غير قاصد إليه بانفراده، ولكنه سبب إليه ثم يخرج فيه إلى كلام هو المقصود، بينه وبين الأول علقه ومناسبة".[32]

ويعد العلوي أول من ذكر التخلص مقرونا بحكم نقدي وهو (الحسن) ومعناه" كون الشيء ملائما للطبع كالفرح، وكون الشيء صفة كمال كالعلم".[33]

ثم يقول" ثم يتفاضل الناس في التخلص، فعلى قدر الاقتدار في النظم والنثر يكون حسن التخلص"[34]، فليس كل تخلص يستطيع أن ينفذ إلى المتلقي ويستحسنه قد يكون التخلص من السوء ما لا يستطيع المتلقي استقباله فيحصل رد فعل عكسي.

وتابعه الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) بقوله "الانتقال من مقام إلى مقام حتى ينقطع الكلام وحيث قصد التخلص لا بد من التوطئة له".[35]

وقد حصل الزركشي حسن التخلص في النص القرآني وجعله في فصل" معرفة المناسبات بين الآيات".[36]

لقد ربط الزركشي التخلص بالسياق وان ارتباط التوطئة بانقطاع الكلام ارتباطا واحدا يعتمده طرفا التواصل في تراكيب الكلام اللاحق على السابق ارتباطا لفظيا يعتمد اعتمادا كليا على السياق.

وركز ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) على الجانب الإيجابي لدلالة التخلص بقوله" لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام".[37]

لقد أشار ابن حجة الحموي إلى حركة التخلص في ذهن السامع، أكد على ارتباط النص بالمتلقي، وبالوقت نفسه أشار إلى مصطلحات حديثة ارتبطت في ما بعد بحسن التخلص كمصطلح الانسجام والاتساق والترابط النصي.

وتابعه السيوطي (ت ٩١١ هـ) في تعريفه للمصطلح من انتقاله مما ابتدأ به الكلام بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدة الملاءمة بينهما.[38]

ولم يخرج من أتى بعده من البلاغين عن هذا المفهوم من كون حسن التخلص هو:- أن ينقل من معنى إلى معنى أو من غرض إلى غرض آخر يتعلق بما سبق ويرتبط بما لحق، ويكون الانتقال بحسن التخلص انتقالا سهلا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازحة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنما افرغا في قالب واحد.[39]

تداخل المصطلح (حسن التخلص) مع مصطلحات أخرى:

تعمل بنية التخلص بوصفها بنية تساعد على الحركة في خطوط عمودية أو افقية، توظف داخلها حركة كثيفة من الوسائل البلاغية الدالة، فالاتصال المعنوي والحسي بين أجزاء النص هو الذي يحافظ في بنية التخلص على وحدة النص وتماسكه، لان الانتقال الشكلي وحده لا يكفي لكي يكون شرطا من شروط التخلص، وان التحول الذي يحصل في بنية التخلص إنما يحصل في البنية العميقة[40] ولا يقتصر على الشكل فقط، والأساس في بنية التخلص هو شد المتلقي ولفت انتباهه والمحافظة على تسلسل متابعته، وتكون المعاني في التخلص آخذة بعضها برقاب بعض والاتصال حاصل بين المعنى السابق والمعنى اللاحق في النص بوساطة

المناسبة أو العلاقة الرابطة للمعنيين عن طريق السياق.

وهناك مصطلحات تتداخل مع حسن التخلص ولابد من الوقوف عندها والإشارة إلى الفرق الحاصل بينها وبين مصطلح حسن التخلص وهما (الاستطراد والاقتضاب).

- **الاستطراد**

يعد مصطلح الاستطراد من اشد المصطلحات علاقة بحسن التخلص، وكثيرا ما تداول النقاد والبلاغيون مفردة الخروج ويعنون بها الاستطراد، كما وحاول بعضهم الآخر الفصل بين المفردتين في أبواب كبتهم.[41]

ونظرا لهذا اللبس في مفهوم المصطلحين سأبين الفرق الحاصل بينهما.

والاستطراد في اللغة "والطرد الإبعاد، وكذلك الطرد، بالتحريك والرجل مطرود وطريد"[42] ومصدر استطراد "كأنه نوع من المكيدة، والمطارد جبال بتهامة، واطرد الأمر أتبع بعضه بعضا وجرى، والأمر استقام"[43] واطردت الأشياء إذا تبع بعضها بعض واطرد الكلام إذا تتابع[44] فالإبعاد والتتابع هما معاني الاستطراد.

أما في الاصطلاح فهو عند الجاحظ الانتقال من موضوع إلى آخر لكي لا يمل القارئ أو السامع[45]، ومما تجدر الإشارة إليه أن الاستطراد طريقة اتبعها الجاحظ في كتبه حتى يبعد الملل عن القارئ.

وقال ابن المعتز "ومن محاسن الكلام أيضا والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه ثم يعود إليه ويتممه في بيت واحد".[46]

ونلحظ من كلام ابن المعتز أن معنى الاستطراد عنده هو الاعتراض والرجوع في الوقت نفسه أي خروج من معنى إلى آخر ثم العودة إلى المعنى الأول الذي ذكره مما يعني أن مصطلح الخروج عنده هو الاستطراد.

والدليل على ذلك، الباب الذي خصصه الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) في موازنته لـ (الخروج)[47] ولدى تعقيبه على آخر شاهد في بابه قال: وهذا يسميه قوم" الاستطراد".[48]

إن كلام الامدي تأكيد صريح على ان مصطلح الخروج هو اسم آخر للاستطراد قبل أن يستقر المصطلح على اسمه وهو الاستطراد، ولا يمكن أن تطلق لفظة الخروج على التخلص للفرق الشاسع بين المصطلحين.

وعلى الرغم أن أبا هلال العسكري (٤٠٠هـ) فصل الاستطراد حينما جعل له بابا خاصا، وعرفه بقوله" وهو أن يأخذ المتكلم معنى فبينما هو فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سببا إليه"[49]، لكنه لم يستطيع ان يقدم تعريفا للمصطلح بشكل واف ومازال التداخل بينه وبين التخلص واردا.

ومن الجدير بالذكر أن هذا التداخل بين المصطلحين شغل النقاد، وقد عزله ابن رشيق في أثناء حديثه عن التخلص وقدم له تعريفا في كتابه يقول "أن يبني الشاعر كلاما كثيرا على لفظه من غير ذلك النوع، يقطع عليها الكلام، وهي مراده دون جميع ما تقدم، ويعود إلى كلامه الأول، وكأنما عثر بتلك اللفظة من غير قصد ولا اعتقاد نية، وجل ما يأتي تشبيها".[50]

فاستطاع ابن رشيق أن يحدد ماهية الاستطراد من خلال كلامه، فالقطع والرجوع في الاستطراد هما السمة التي يتميز بها الاستطراد عن التخلص.

ونلحظ أن ابن أبى الإصبع استطرد في كلامه عن الاستطراد بأنه "لابد من ذكر المستطرد به باسمه، يشرط أن لا يكون جرى له ذكر في الكلام قبل ذلك"[51] وذلك بعد "أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الأخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمن مدحا أو قدحا أو وصفا".[52]

فذكر اسم المستطرد به والرجوع إليه هما شرطان آخران من شروط الاستطراد وهما بعيدان كل البعد

عن مصطلح حسن التخلص.

ولعل حازم القرطاجني حاول حل الإشكال بين التخلص والاستطراد عندما نظر إلى عملية الاستطراد بقوله: إن الانتقال ما لم يكن بتدرج ولا هجوم، ولكن بانعطاف طارئ على جهة من الالتفات استطرادا[53]، وما كان بتدرج تخلصا.[54]

واكمل قوله بان" الاستطراد لا يكون التخلص فيه بتدرج وانتقال من الشيء إلى ما يناسبه ويشبهه ولكن بالتفات الخاطر حيزا من حيز وملاحظته طرفا من طرف، فيعطف إلى ما يريد التخلص إليه بما يكون مناقضا له أو مخالفا. أوشك انعطاف من غير مقدمة تشعر بذلك أو واسطة تنظم بين الطرفين ولكن بالخروج من أحدهما والتخلص عنه... وذلك بأن يلاحظ بين المتخالفين صفة تجتمعان فيها من حيث لا يشعر فيكون ذلك طريق النقلة من أحدهما إلى الآخر على سبيل تشبيه أو محاكاة".[55]

وان شروط الاستطراد عند القرطاجني واضحة:-

- الانتقال لا يكون بتدرج بل بسرعة وقطع مباشر في الكلام.
- ولا يكون بين المنتقل منه والمنتقل إليه مناسبة ولا شبه.
- انتقال طارئ بالتفات أي عدول عن الكلام إلى كلام آخر، وعطف مباشر من غير مقدمة أو واسطة.
- وجوب وجود صفتين تجمعان بين المستطرد منه والمستطرد إليه على سبيل التشبيه والمحاكاة.

وجاء السيوطي وحسم مسالة التداخل بين الاستطراد والتخلص بقوله"الفرق بين التخلص والاستطراد انك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية وأقبلت على ما تخلصت إليه، وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه مرورا كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده".[56]

إن الفرق الحاصل بين المصطلحين هو في البنية السطحية الظاهرة من حيث الشكل لا المضمون، فعدم التدرج في الانتقال، وانعدام العلاقة بين المنتقل منه والمنتقل إليه والقطع المباشر الذي حصل في الكلام مع الانتقال الطاريء والرجوع إلى المعنى الأول وذكره حتى وان كان ذكرا سريعا وبذلك يبتعد كليا عن مصطلح حسن التخلص، كما وان التحول الذي يحصل في البنية العميقة يختلف اختلافا كليا عن الاستطراد الذي يعتمد على التحول الشكلي فقط.إن أساس حسن التخلص هو شد المتلقي ولفت انتباهه بطريقة الانتقال والعلاقة أو المناسبة التي تربط المعاني بعضها ببعض.

والمخطط الآتي يوضح الفرق بينهما:-

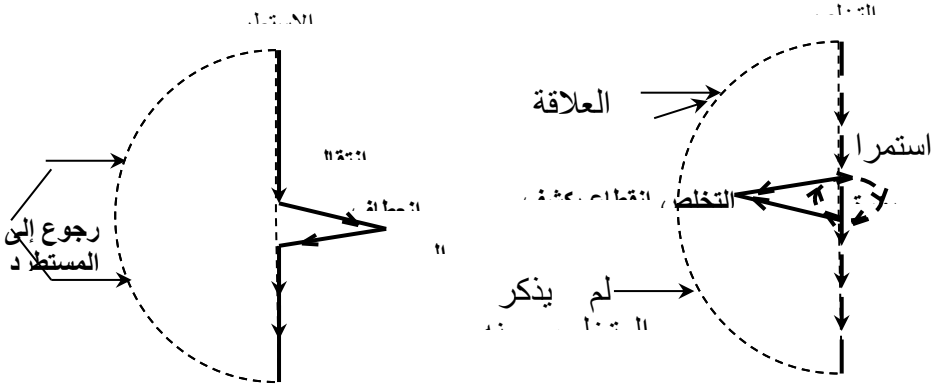

- **الاقتضاب**

القضب في اللغة : هو قطع الشيء أو الإنقطاع عن الشيء، "القاف والضاد والباء أصل صحيح يدل على قطع الشئ، يقال قضب الشيء قضبا، ومن الباب أقتضب فلان الحديث، إذا ارتجله، كأنه كلام اقتطعه من غير روية ولا فكر".[57]

يبدو أن ابن فارس أشار إلى وجود وظيفتين للقضب هي القطع والارتجال في الكلام؛ وسرعة الحركة في الانتقال، وهما أساس الاقتضاب وصفه رئيسه من صفاته وفي كلام ابن منظور "اقتضب الحديث والشعر، تكلمت من غير تهيئة أو إعداد له".[58]

إن الدلالة اللغوية للاقتضاب بكونه قطع الشيء أو ارتجاله تختلف عن الدلالة اللغوية للتخلص كونه "الانفكاك من الشيء أو الخروج منه ويأخذ التخلص أيضا معنى الوصول والبلوغ".[59]

أما دلالة الاقتضاب الاصطلاحية فهي لا تختلف كثيرا عن دلالته اللغوية؛ فذكره ابن الرومي بقوله: "البلاغة حسن الاقتضاب عند البداهه، والغرارة عند الاطالة، والاقتضاب: اخذ القليل من الكثير"[60] فدخل الاقتضاب عنده معنى الإيجاز في الكلام، والإيجاز هو معنى كثير وكلام قليل.

لقد أكد الرومي أن سرعة المتكلم شرط من شروط كلامه.

أما ابن الأثير ففصل بقوله: "أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون للثاني علاقة بالأول".[61]

إن العلاقة عند ابن الأثير معدومة بين المعنى السابق والمعنى اللاحق، وأكد هذا الكلام القزويني بقوله" الانتقال إلى مالا يلائمه".[62]

ومن الجدير بالذكر أن العلوي أشار إلى الفرق الحاصل بين المصطلحين عندما قال: "وهو نقيض التخليص، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو بصدده ثم يستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك من أفانين الكلام لا يكون بين الأول والثاني علاقة ولا مناسبة"[63]، لقد أكد العلوي كلام من سبقه بكون الاقتضاب هو قطع لفكرة معينة بسرعة والكلام مكثف من دون تهيئة للمتلقي للدخول إلى الموضوع الجديد.

أي إن الفرق الحاصل بين مصطلح حسن التخلص ومصطلح الاقتضاب شمل ناحيتين هما الشكل والمضمون، فشكل الاقتضاب من حيث انتقاله السريع لدرجة قطع الكلام يبتعد كليا عن التخلص الذي يكون انتقاله هادئا غير مرئي بين المعاني، أما المضمون أي العلاقة الداخلية أو المناسبة في الاقتضاب فهي معدومة كليا وتظهر بالتخلص بشكل غير مباشر، فهي في مجال حركة المتلقي واستعداده للانتقال، وهذه العلاقة هي أساس تكوين مصطلح التخلص وبدونها ينعدم المصطلح، ونلحظ من هذا الكلام ان هناك نقطتين في التخلص تختلفان في الاقتضاب:-

- العلاقة التي تربط المعنيين وإن كانت هذه العلاقة خفية (غير ظاهرة).
- الانتقال التدريجي لبنية التخلص واستعداد المتلقي لهذا الانتقال.

خاتمة ونتائج

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على اشرف الكائنات، سيدنا محمد وعلى اله وصحبه الثُقات، وبعد:

فان أساليب العبارة القرآنية ومعانيها ودلالاتها المختلفة لا يمكن أن يحيط بها مثل هذا البحث، وحسبه

أن يلم بأطراف منها ويدل عليها، ولما كانت مدار الأمور تقاس بحسن خواتيمها فإننا نسأل العلي القدير أن يكون عملنا هذا ممن تحسن خواتيمه، ونستغفر الله تعالى عن أي تقصير قد حصل من دون قصد:

ولقد خلصت مسيرة البحث إلى جملة نتائج نوجزها فيما يأتي :

- لا توجد دراسة تجمع كل ما يخص هذا الموضوع ولهذا قام البحث بدراسة آراء النقاد والبلاغيين لمصطلح (حسن التخلص) وبيان آرائهم والإشارات التي ذكرت عند القدامى منهم التي أصبحت الأساس في تكوين هذا النوع من الانتقال وهو حسن التخلص، فخلصنا إلى وضع تعريف يغطي المصطلح بعد الاطلاع على كلام المفسرين وطرق تفسيرهم لآيات الانتقالات الخاصة بـ (حسن التخلص).
- فكرة التخلص ترسخت في أول ظهورها فنا بديعيا في القصيدة العربية، بصيغتي (دع ذا) (وعد عما ترى) ومرادفاتهما لكنهما لم يكونا استثناء في الشعر العربي القديم الذي كان يوظف صيغا كثيرة وفي مواضع مختلفة من القصيدة، فتدرجت هذه الفكرة حتى وصلت إلى النثر العربي، ليوثق المصطلح ظهوره في القران الكريم من خلال تحديد أطره (المتخلص منه حسن التخلص . المتخلص إليه).
- تباينت رؤية البلاغيين في تحديد مصطلح حسن التخلص قربا وبعدا، فقد أدرجه بعضهم مع مفهوم الاستطراد، وربطه بعضهم الآخر بمصطلح الاقتضاب، لكون التخلص يتحقق بتنقلات، فالتشابه بين هذه المصطلحات يتضمن طريقة الانتقال وظهور العلاقة وانعدامها، والاختلافات الحاصلة في البنية السطحية والبنية العميقة، فشمل الانتقال الشكل والمضمون، أما الشكل فهي الاختلاف في طريقة الانتقال، أما المضمون فنلحظ فاعلية العلاقة التي تربط حسن التخلص بما سبقه وما لحقه من سياقات مختلفة في حين تكون العلاقة غير ملحوظة في الاستطراد والاقتضاب.
- حاول البحث إظهار الدافع الحقيقي لرصد حركة التخلص من خلال إيثار معاني ثانية، فتظهر هذه المعاني عن طريق تحليل الآيات القرآنية بالنظر في تراكيبها الداخلية ووحداتها المختلفة للتمكن من معرفة العلاقات التي تربط بين هذه الوحدات، لتتكون لدينا في النهاية الوحدة الكاملة وهذه الوحدة تحيلنا بدورها إلى الآليات الداخلية في النص القرآني.
- بدا للبحث أن لحسن التخلص شروطاً وضوابط تسوغه منها ما هو عام كـ (الانسجام والتماسك والاتساق) ومنها ما هو خاص كـ (العلاقة التي تربط بين السابق واللاحق لحسن التخلص).
- حدثت تحركات حسن التخلص على صعيد البنى العميقة ومن هذه التحركات خلصنا إلى وجهة حسن التخلص في القران إذ توزع بين سياقات موضوعية متعددة.

قائمة المراجع

ابن الأثير الحلبي، نجم الدين أحمد بن إسماعيل. (٢٠٠٤). جوهر الكنز. تحقيق محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن المعتز، عبد الله. (١٩٨٢). كتاب البديع. تحقيق إغناطيوس كراتشكوفسكي. القاهرة: دار المعارف.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (٢٠٠٣). لسان العرب (ط. ٣). بيروت: دار صادر.

ابن منقذ، أسامة بن مرشد. (١٩٨٧). البديع في البديع. تحقيق أحمد أحمد بدوي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن رشيق القيرواني، الحسن. (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (ط. ٥). تحقيق محمد قرقزان. بيروت: دار المعرفة.

ابن سنان الخفاجي، علي. (١٩٨٢). سر الفصاحة. تحقيق عبد المتعال الصعيدي. القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن طباطبا، محمد بن أحمد. (١٩٨٢). عيار الشعر. تحقيق عباس عبد الساتر. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.

ابن فارس، أحمد. (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة: دار الفكر.

الأزهري، محمد بن أحمد. (٢٠٠١). تهذيب اللغة. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: دار إحياء التراث العربي.

الآمدي، الحسن بن بشر. (١٩٩٤). الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. تحقيق السيد أحمد صقر. القاهرة: دار المعارف.

الأصفهاني، أبو الفرج. (١٩٩٧). خزانة الأدب. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (١٩٩٨). البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الجرجاني، علي بن محمد. (١٩٨٥). التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية.

الزملكاني، محمد بن علي. (٢٠٠٢). التبيان في علوم القرآن المطلع على إعجاز القرآن. تحقيق محمد حسين الذهبي. القاهرة: مكتبة وهبة.

السيوطي، جلال الدين. (٢٠٠٨). الإتقان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيوطي، جلال الدين. (١٩٩٦). معترك الأقران في إعجاز القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشافعي، محمد بن إدريس. (١٩٩٠). الطراز. تحقيق عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية.

التهانوي، محمد علي. (١٩٩٦). كشاف اصطلاحات الفنون. تحقيق علي دحروج. بيروت: مكتبة لبنان.

ثعلب، أحمد بن يحيى. (١٩٩٥). قواعد الشعر. تحقيق رمضان عبد التواب. القاهرة: مكتبة الخانجي.

ثعلب، أحمد بن يحيى. (١٩٨٦). شرح ديوان زهير بن أبي سلمى. تحقيق فخر الدين قباوة. دمشق: دار الفكر.

الحاتمي، أبو القاسم. (١٩٨٠). حلية المحاضرة. تحقيق جعفر الكتاني. القاهرة: دار المعارف.

عبد الله، عنبر. (١٩٨٨). علامة الإعراب: مقاربة بنائية بين تحولات المعنى وتشكيل النص. مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٥(١)، ١–٢٥.

العسكري، أبو هلال. (١٩٨١). كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. تحقيق علي محمد البجاوي. القاهرة: دار الفكر العربي.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (٢٠٠٣). كتاب العين. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. بغداد: دار ومكتبة الهلال.

القزويني، جلال الدين محمد. (٢٠٠٣). الإيضاح في علوم البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.

الكلاعي الإشبيلي، محمد بن عبد الغفور. (١٩٩٨). أحكام صنعة الكلام. تحقيق حسين نصار. القاهرة: مكتبة الخانجي.

مطلوب، أحمد. (١٩٨٧). البلاغة والتطبيق. بغداد: وزارة التعليم العالي.

مطلوب، أحمد. (١٩٩٦). معجم المصطلحات البلاغية. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي.

نصر الله، هاني توفيق. (١٩٩٩). التخلص في القصيدة العربية القديمة من الصيغة إلى البنية. مؤتة للبحوث والدراسات، ١٤(٥)، ١٠٦–١١٩.

وهبة، مجدي، والمهندس، كامل. (١٩٨٤). معجم المصطلحات في اللغة والأدب. بيروت: مكتبة لبنان.